عليك بمرق الدجاج

بقلم الأديب المعروف الأستاذ حسين شفيق المصرى

شاب صحيح البدن ، صحيح البصر ، حسن العقل ، حسن الهندام ، يحمل " دبلوم الصناعات الميكانيكية " وله لباقة يستطيع بها أن يتصرف فيما يعهد اليه ، قال لى : تخرجت فى المدرسة الفلانية منذ ثلاث سنين وأهلكت عددا غير قليل من الأحذية فى السعى إلى عمل فى مصالح الحكومة فلم أجد الى ذلك سبيلا ؟

فقلت له : أمامك المصانع الأهلية .

قال : لم أغفل عن هذا ولكنى استمسكت بحبل الأمل الى أن انقطع .

قلت : عليك بمرق الدجاج .

ولم أكن بهذا الجواب مازحا ، فقد كان لى صديق طبيب كلما جاءه مريض يكاد الهزال يقضى عليه من ضعف المعدة نصح له بمرق الدجاج لأنه مغذ سهل الهضم ، وليس فيه مافى العقاقير من المرارة أو الغضاضة .

ولم يكن صديق الطبيب يعرف إن كان المريض يقدر على ثمن الدجاج أولا يقدر ، مع أنه كان يعالج أمراض الفقراء على المروءة وابتغاء مرضاة الله ، وهؤلاء يستطيعون الذهاب إلى غابة السباع ولا يستطيعون الذهاب إلى سوق الدجاج .

وأنا تلقاء مشكلة العطلة لا أرى فرقا كبيرا أو صغيرا بين أن يقال للفقير المحروم المشرف على الموت من الحاجة إلى الطعام النافع للبدن " عليك بمرق الدجاج " و بين أن يقال للشاب المتعطل الذى انقطعت به الأسباب " عليك بالعمل " بعد أن زاد عدد العاطلين من العمال والصناع عما تتسع له المصانع ومحال الأعمال .

ولست ألوم مدير المصنع أو محل العمل أو التاجر أو غيرهم إذا أغلقوا أبوابهم فى وجوه العاطلين الذين لاحاجة لهم إليهم ، ولست أشك فى أنى أغلق بابى كما يغلقون أبوابهم إذا كنت صاحب صناعة أو عمل ، لأنى لا أرى أن أستخدم عاطلا ليس فى " ميزانيتى " له مكان ،

ولا من المعقول أن أطرد عاملا أحله محله أو أقتل آخر أستبدله به ، وليس لى إلا أن أحيل كل طالب عمل الى " مرق الدجاج " كما كان يفعل ذلك الطبيب مع مرضاه الفقراء .

وأعجب ما أعجب له أنى أسمع المصلحين فى اذاعات الراديو وفى الصحف اليومية والمجلات يقولون للعاطلين "عليكم بمرق الدجاج" وهم إن لم يقولوها بالنص فانهم يقولون ما فى معناها حين يقيمون الأدلة والبراهين والحجج والبيانات على ضرورة ايجاد الأعمال للصناع والعمال ، وليس فى هذه البيانات والحجج والبراهين حل للمشكلة ولا دواء للداء ولا خروج من لأزمة المستحكمة الحلقات ، [illegible]

المصلح الاجتماعى عندنا يصف سوء الحال و يشكو من تفشى الفقر و ينذر بهول المصير ثم يسكت أو يطلب من الحكومة أومن الجمهور أو منهما معا أن تتعاون الهمم على الانقاذ، فكيف الانقاذ ، وأين مرق الدجاج يادكتور ؟

تعالوا بنا نبحث لنرى أسباب أزمة العطلة و بعد أن تنكشف تلك الأسباب نتعاون على إزالتها من طريق العمال والصناع ولا سيما المتعلمين منهم فانهم يتكاثرون كل عام و بقاؤهم عاطلين يفسد الأخلاق و يوحه النفوس الى الإجرام .والذكاء حين يحتمع بالمعرفة ولا يجدان سبيلهما الى مواطن الكسب المشروع يذهبان الى التزوير وتزييف النقود والاحتيال واللصوصية وما هو شر من كل أولئك.فلا بد من بناء سد يمنع انحدار ذلك التيار الى مجرى حياة البلاد .

نذهب الى الأسواق فنرى المصنوع فى مصر من القلة والندورة بحيث لا يكاد يظهر بين الواردات من البلاد الأجنبية، من الآلة الكهربائية أو البخارية الضخمة، الى الابرة الدقيقة التى لاترفع عن المنضدة إلا بالأظافر ، ومن المدفع الى السكين، والأقمشة والأزرار والأطعمة حتى السمك المحفوظ فى العلب نأكله على ضفاف النيل والبحرين الأبيض والأحمر .

هذه الواردات وغيرها تأتى من البلاد الأجنبية بوفرة لا تظهر معها أمثالها من المصنوع عندنا ، والمصنوع عندنا خارج من أيدى النزلاء الأجانب كالكبريت والقديد " البسطرمة " مثلا وقائمة أسماء لأشياء طويلة لايسعها غير مجلد ضخم لاصفحة أو صفحات فى مجلة مهما طالت صفحاتها وعرضت .

فكيف يجد صناعنا وعمالنا مرتزقا والأسواق ملآى بهذه الواردات ؟

مجال العمل ضيق أمامهم ، وليس أمامهم سبيل الى الكسب ، ولن يغنيهم أن يقال لهم : "عليكم بمرق الدجاج" .

وليس مما أرمى اليه أن أطلب من الحكومة منع دخول تلك الواردات الى البلاد أو أنهى الناس عنها والمصنوع منها عندنا لايكاد يحسب له حساب ، لحل مشكلة العطلة فى انشاء المصانع الوطنية لتلك الأشياء، يعمل فيها الصناع والعمال و يديرها المتعلمون، وتفتح فيها أبواب الوظائف ، فتزول العطلة وتبقى أموال الأمة لأبنائها، و بالأموال تكثر المصانع والمعامل والمتاجر وتوجد حياة جديدة يتجلى فيها الاستقلال الاقتصادى الصحيح .

ولا نرى أمثال ذلك الشاب صاحب الدبلوم الذى لايدرى ماذا يفعل بدبلوم ثلاث سنين والله وحده يعلم متى ينتفع بذلك الدبلوم .

كأنى بهاتف يقول لى : مرحى وما أعظم ما حلمت به المشكلة أيها الخيالى المتعلق بالتمنى الجميل ، وللهاتف أن يتهكم ماشاء ، فان إنشاء المصانع شىء والكلام شىء آخر .

من الذى ينشئ لك المصانع والمتاجر أيها الحالم الذى يغط فى النوم ، عليك بمرق الدجاج !

* * *

كأنى لم أقل شيئا ، لأن الناس جميعا لايجهلون أن مشكلة العطلة لاتحل إلا بانشاء المصانع والمعامل والمتاجر ، فلا بد من رءوس الأموال ، ومحال أن تكون رءوس أموال إلا بتأليف شركات ، والمتمولون قد رأوا بعيونهم نجاح المصانع والمعامل الوطنية الموجودة الآن . ولكنهم لايلتفتون اليها الا ليعلنوا سرورهم بها واعترافهم بفضل أصحابها، من غير أن يخطر ببالهم أن ينشئوا غيرها ، والمسألة مسألة همة واقدام لا مسألة إعجاب فى كلام .

والحق أن المتمولين يشعرون بضرورة العمل ولكنهم لا يعملون من تلقاء أنفسهم ، لأنهم لم يألفوا تأليف الشركات ، ولا يعرفون كيف تتألف ، وماذا تفعل ، وما هى الضمانة التى تكفل لهم النجاح الضامن لأموالهم بضرب الصفح عن الربح ، وهذه مشكلة تقوم عليها مشكلة حاجتنا الى الواردات ومشكلة العطلة ومشكلة الاخلاق المهددة بالفساد وسائر المشكلات المعقدة .

وفى البلاد أموال غير مستثمرة ، وهى لا تعمل الا اذا أمن عليها أصحابها سوء العقبى وليس لكائن من كان أن يطالبهم بالمخاطرة بل الواجب تأمين الطريق قبل السير فيه .

وفى بلادنا عدد كبير من رجال الاقتصاد الموثوق بهم، وهؤلاء هم الذين يكفلون نجاح الشركات التى تؤلف و يضمنون حفظ الأموال و يؤكدون الربح و يشقون فى كل طريق قناة يجرى فيها مرق الدجاج .

وما دام المتمولون مترددين فإن الاقدام يتلو التردد إلا اذا كانت الدعوة صادرة عن الحكومة وكان تأليف الشركات تحت اشرافها ومراقبتها .

فلم لاتشرع الحكومة فى هذا العمل عوضا عن أن تندب حظ البلاد مع النادبين وتلطم الخدود مع اللاطمين ؟

تستطيع الحكومة أن تؤلف لجنة من كبار الاقتصاديين أصحاب الأموال والأعمال الناجحة لتضع برنامجا إنشائيا عمليا واضحا تضمنه جميع المشروعات الاقتصادية الضرورية للبلاد ، الأهم منها فالمهم أو الأسهل منها فالأصعب ، وتبين فيه للأمة وجوه النفع ومقدار المال اللازم لتحقيقه ومبلغ الحصة التى تصيب منه كلا من الحكومة والمشتولين ومبلغ الربح الذى يفيده المسهم فيه ولو على وجه التقريب . ولتعلن اللجنة بعد ذلك اسم المشروع الذى تبدأ به ولتدع الزراع والتجار والماليين المصريين الى الاكتتاب فيه ، وما أظن هؤلاء — بعد أن يروا الحكومة تحتضن هذه المشروعات وتحميها وتموّلها وتشرف عليها وتراقبها — إلا مقبلين عليها ملبين نداءها عاملين بنصحها وإرشادها .

وربنا خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وكان قادرا على خلقها فى طرفة عين ، فليكن مصنع بعد مصنع بعد مصنع ، ومعمل بعد معمل بعد معمل ، وتخل مشكلات الاقتصاد وتحل معها مشكلة العطالة .

أما الشكوى من العطالة والفقر وركود الحياة الاقتصادية والنداء بضرورة التخلص من هذه الأزمة من غير عمل فان ذلك كقول صديق الطبيب لمرضاه : "عليكم بمرق الدجاج" — والدجاجة فى السوق يعلم المريض مكانها ولسان حاله يقول :

فيادارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

حسين شفيق المصرى

من حكم ابن المقفع

من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه . فإن من خفى عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره ، فلن يقلع عن عيبه الذى لا يعرفه ولن ينال محاسن غيره .